

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٣٦ : خ ١ - رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ، خ ٢ - التعاون من خلال الآية ٢٩ من سورة الفتح .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٥-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمدك، ونستعين به ونسترشدك، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مُضل له، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق و البشر ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

رحمة النبي :

أيها الأخوة الكرام: لازلنا في ذكرى مولد سيد الأنام عليه أتم الصلوة والسلام، موضوع الخطبة اليوم: "رحمة النبي".

لاشك أنكم ترون القسوة والقتل والاغتيال والقهر والإفقار، هذا هو الكفر، الكفر جريمة، الكفر ذلة، لكن الإيمان شيء آخر، النبي عليه الصلوة والسلام في حديث صحيح يُعرف نفسه تعريفاً جاماً مانعاً يقول:

((عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَادِيهِمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَأةٌ))

[الدارمي عن أبي صالح]

رحمة الله بالخلق ظهرت رحمة في قلب النبي للخلق، لذلك قال العلماء: أرحم الخلق بالخلق النبي عليه الصلوة والسلام، أرحم بنا من أنفسنا:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة التوبة: ١٢٨]

أيها الأخوة الكرام ، لكن رحمة النبي ليست رحمة الضعفاء البائسين لكنها رحمة الأقوياء الباذلين، النبي عليه الصلوة والسلام يقول:

((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ))

[الترمذى عن عبد الله بن عمر]

إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، الشيء الذي يتميز به المؤمن تميزاً صارخاً الرحمة في قلبه، الرحمة التي اشتقتها من الله من خلال اتصاله به، يؤكد هذا قول الله عز وجل:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَنِيظَ الْقُلُبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاؤْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

علامة إيمانك أن ترحم الخلق، عالمة إسلامك أن تكون وقاها عند حدود الله، فرق كبير بين المؤمن و غير المؤمن، المؤمن يرحم و الكافر يقتل، يتلذذ إذا رأى مصائب الآخرين، يتلذذ بقتلهم و إفقارهم و إذلالهم بينما المؤمن ينقطع قلبه رحمة بالخلق، لذلك أيها الأخوة إن كان لك اتصال بالله ففي قلبك رحمة، وإن كان هناك انقطاع عن الله فالقلب قاس.

رحمته صلى الله عليه وسلم بالنفس :

أيها الأخوة الكرام: من هنا يصدق أن الرحمة عند النبي عليه الصلاة و السلام خير من الإفراط في العبادة و أزكي، لقد خرج النبي عليه الصلاة و السلام عام الفتح إلى مكة في رمضان حتى بلغ موضعًا يدعى كراع الغنم فصام و صام الناس، و لما رأى صلى الله عليه و سلم بعض الناس قد شق عليهم الصيام بسبب جهد السفر دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس جميعاً إليه ثم شرب، و لما قيل له: إن بعض الناس لا يزال صائماً؟ قال عليه الصلاة و السلام: أولئك العصاة، إذا وضعت في كفة العبادة و في كفة الرحمة رجحت كفة الرحمة على كفة العبادة، ماذا فعل؟ هو صائم لكن حمل نفسه ما لا تطيق، حمل أعضاءه ما لا تطيق، وقد أباح الله له الإفطار في السفر، فحينما بلغ النبي عليه الصلاة و السلام أن بعض أصحابه بقي صائماً ما زاد عن أن قال عنهم: أولئك العصاة.

رحمته بالوالدين :

أيها الأخوة الكرام ، سمع صوت طفل يبكي و هو يصلی فاقتصر في صلاته على أقل الآيات، فلما سئل قال: سمعت طفلاً يبكي ينادي أمه ببكائه فكرهت أن أشقد على أمه، إنما هو رحمة مهدأة.

أيها الأخوة الكرام ، ألا تعلمون أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، و أن أعلى مرتبة في الإسلام أن تقدم نفسك في سبيل الله، رجل يسرع الخطى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لبيابع النبي عليه الصلاة و السلام على الهجرة معه و على الجهاد في سبيل الله تحت رايته يقول:

((عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَيْبٍ أَنَّ نَاعِمًا مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَا يَعْكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَهَلْ مِنْ وَالدِّيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ بْلَ كَلَاهُمَا قَالَ: فَتَبَتَّغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالدِّيْكَ فَأَحْسِنْ صُحبَتَهُمَا))

[متفق عليه عن يزيد بن أبي حبيب]

و أن تحسن صحبة والديك هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاد و هجرة في سبيل الله، و جاءه رجل آخر فاستأذنه في الجهاد فقال:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ أَحَيٌّ وَالدِّاك؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدُهُمَا))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرب]

أرأيت إلى رحمة رسول الله للأم والأب وكيف أنها في أشد الحاجة إلى ابنهما؟ فهذا الذي يدع أمها و أباها و يسافر و يستوطن في بلاد بعيدة و ينسى حقوق والديه عليه هذا ما عرف من الدين شيئاً، و جاءه رجل آخر قال:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي جَئْتُ أَبْيَعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبْوَيِّ يَبْكِيَانِ قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْرِبْكُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا))

[النسائي عن عبد الله بن عمرب]

أيها الأخوة الكرام ، إن بسمة تعلو شفتي أب حنون و تكسو وجهه أم رؤوم لا تقدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمن ، حتى حينما يكون الثمن جهاداً في سبيل الله، يثبت الدعوة و ينشر الرأية في الأفاق ، و إذا كانت العبادة تتحول إلى تعذيب حينما تكون على حساب الرحمة فإنها - أي العبادة - تتحول إلى عقوبة إذا تمت على حساب الرحمة بالوالدين ، هذا عن رحمته بالنفس و عن رحمته بالوالدين فماذا عن رحمته بالأهل و الزوجة ؟

رحمته بالأهل و الزوجة :

أما رحمته بالأهل فشيء عجيب أيها الأخوة، لقد ربط صلى الله عليه وسلم الخيرية المطلقة برحمة المرأة أهلها و إحسانه إليهم، فقال عليه الصلاة و السلام:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ))

[الترمذى عن عائشة]

خيركم: الخيرية المطلقة، أوضح عالمة للمؤمن أنه رحيم بأهله، رحيم بزوجته، بأولاده، يعطيهم من رحمته الشيء الكثير، يحرص على سلامتهم، و على سعادتهم، و على إيمانهم :

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ))

[الترمذى عن عائشة]

و قال عليه الصلاة و السلام:

((عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر وعظ ذكر في الحديث قصة فقال: ألا واستتوصوا بالنساء خيرا))

[الترمذى عن سليمان بن عمرو بن الأحوص]

و قال عليه الصلاة والسلام: " استوصوا بالمرأة و الضعيف خيراً " و في حديث آخر :
((اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة))

[ابن ماجه عن أبي هريرة]

أحرج أي أضيق. و في حديث آخر أيضاً يقول عليه الصلاة والسلام:

((خيركم خيركم للنساء))

[صحيح عن ابن عباس]

: و

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمنهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغبن كل كريم، ويغبنهن لئيم.....))

[ابن عساكر عن علي]

لهاذا الحديث روایات متعددة، إحدى روایاته:

((.... وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيناً غالباً))

تتجلى رحمة النبي عليه الصلاة والسلام بالأزواج من خلال هذه القصة القصيرة:

((عن أبي قاتلة قال: حدثنا مالك أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شيبة متقاربون فأقمنا عند عشرين يوماً وليلةً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيفاً فلما ظننا أننا قد اشتهرنا أهلاً أو قد اشتقت سألنا عن تركنا بعدها فأخبرناه))

[منفق عليه عن أبي قاتلة]

شيبة: شباب، بلاد إسلامية لا تقبل موظفاً معاراً من دولة إسلامية إلا من دون زوجة، هؤلاء كانوا عند النبي وأقاموا عنده عشرين ليلة و علم أن لهم زوجات فقال عليه الصلاة والسلام:
((ارجعوا إلى أهليكم فاقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها وصلوا كما رأيتموني أصلني فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم وليومكم أكبركم))

[منفق عليه عن أبي قاتلة]

رحم الزوجات حينما غاب عنهن أزواجهن عشرين يوماً، سيدنا عمر حينما تسلم منصب الخلافة قال: " أيها الناس أربعة أشياء خذوني بهن، لكم على ألا آخذ من أموالكم شيئاً إلا بحقه، و ألا أنفقه إلا بحقه، و لكم على ألا أجمركم في البعوث - أي السفر يجب أن يكون محدوداً رعاية لحق الزوجة - و لكم على أن أزيد عطياتكم إن شاء الله تعالى، و إذا غبتم في البعوث فإنما أبو العيال حتى ترجعوا ".

أيها الأخوة الكرام : رحمته بالأهل هكذا فكيف رحمته بالزوجات؟ صحابي جليل هو عثمان بن مظعون دخلت زوجته على السيدة عائشة تشكى بثها و حزنها فعثمان زوجها مشغول عنها

بالعبادة؛ يقوم الليل و يصوم النهار، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون فقال له: يا عثمان أما لك بي أسوة؟ قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ قال عليه الصلاة والسلام تصوم النهار و تقوم الليل؟ قال: نعم إني أفعل هذا، فقال عليه الصلاة والسلام: لا تفعل، إن لجسك عليك حقاً، و إن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، و امتنع عثمان نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و التزم أمره، و فرر أن يؤدي حق أهله، و في صبيحة اليوم التالي ذهبت زوجة عثمان إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم عطرة نصرة كأنها عروس و اجتمع حولها النساء و أخذن يتعجبن من فرط ما طرأ عليها من بهاء و زينة قلن لها: ما هذا يا زوج ابن مظعون؟ قالت و هي تضحك: أصابنا ما أصاب الناس، رحم النفس و رحم الأبوين و رحم الأهل و رحم الزوجات، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام وعد المرأة التي تحسن تبعل زوجها بأن لها درجة عند الله تعذر درجة المجاهد في سبيل الله، و الجهاد كما تعلمون ذروة سلام الإسلام، فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها قالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، إن الرجال فضلوا علينا بالجمع و الجماعات و عيادة المرضى و شهود الجنائز و الحج و العمرة و الرباط، فقال لها عليه الصلاة والسلام: انصرفي أيتها المرأة و أعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها و طلباً لمرضاته و اتباعها و موافقتها له تعذر ذلك كله.

رحمته بالأولاد :

أيها الأخوة الكرام: هذا عن رحمته بالنفس و الأهل و الأزواج فماذا عن رحمته بالأولاد؟ أيها الأخوة الشيء الأول الذي يرتبط بذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام الشيء الأول أن نتبعه، لا يتعينا إلا أن نتبعه، ينبغي ألا نكتفي أن نمدحه، إذا مدحناه هو فوق ما نمدحه لكننا دونه كما بين السماء والأرض هو حيث هو و نحن حيث نحن، أما إذا اتبعناه ارتقينا، كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى طفلاً يظهر له البشر و السرور إيناساً له و تطيباً لقلبه، و كان يأخذ أطفال أصحابه بين يديه و يحملهم و يداعبهم، كان إذا مر بصبية يقرئهم السلام يقول: السلام عليكم أيها الصبية، و حدث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صبية يتسابقون فجرى معهم تطيباً لهم، و كان يلقى الصبي و هو يركب ناقته يدعوه إلى ركوب الناقة ليدخل السرور على قلبه، و الذين يفرحون الأطفال لهم قصر في الجنة، هذا الذي يأتي بدمية يفرح بها ابنته له مكان خاص في الجنة تكريماً له:

((عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءَ أَعْرَابِيًّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ فَمَا نُقْبِلُهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَمْلَكَ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَبْكِ الرَّحْمَةَ؟))

[منفق عليه عن عائشة]

أي مَاذَا أَمْلَكَ لَكَ إِنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَبْلِكَ؟ لَقَدْ ماتَ لِإِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفْلًا صَغِيرًا فَلَمَ رُفِعْ إِلَيْهِ فَاضْطَرَّ عَيْنَاهُ:

((عَنْ أَبِي عُثْمَانَ حَتَّىٰ أَسَمَّةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلْتُ ابْنَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأَنْتَنَا فَارْسُلْ يُقْرَئِ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ مَا أَخْذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجْلٍ مُسْمَى فَلَتَصِيرُ وَلَتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا فَقَامَ وَمَعْهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلَ وَأَبِي بْنِ كَعْبٍ وَرَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَجَالٌ فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقُ قَالَ حَسِيبُتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَائِنَهَا شَنَّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا فَقَالَ هَذِهِ رَحْمَةً جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَاءِ))

[منفق عليه عن أبي عثمان]

في بيتك ارحم، في عملك ارحم، في الطريق ارحم، ارحم من لا تعرفه و ارحم من لا تعرفه، ارحم من يلوذ بك و من لا يلوذ بك، بل أن ترحم من يلوذ بك هذا طبع مركب في كل البشر، و يكاد يكون الأجر عليه قليلاً لأنك مدفوع بطبعك، أي أترى أنك إذا استيقظت جائعاً و تناولت طعام الإفطار ألك أجر كبير تعبدني؟ لابد من أن تأكل لأنك جائع، دافع الجوع دفعك لأن تأكل، هذا طبع في الإنسان، و أن يرحم الإنسان أولاده فقط طبع فيه، لذلك لم يرد في القرآن وصية الله في الأولاد و لكن ورد وصية للأولاد بالآباء، لأن رحمة الآباء للأبناء طبع بينما رحمة الأبناء بالآباء تكليف، و الله يأمر أمراً تكليفياً و يدع الأشياء الفطرية دون أن يأمر بها لأن الدافع الذي أودعه الله بالإنسان كاف أن يدفعه إلى فعل ذلك، لذلك متى تعلو قيمة الرحمة؟ إذا رحمت من لا تعرف، إذا رحمت طفلاً في محلك، ترحم ابنك لاشك إنه ابنك لكن ينبغي أن ترحم هذا الطفل الذي في سن ابنك، قد يكون يتيمًا ينبغي أن تحرص على مستقبله، ينبغي أن تربيه، ينبغي أن تحرص على أخلاقه، ينبغي أن تحرص على سلامته و على صحته.

أيتها الأخوة الكرام: قال عليه الصلاة و السلام:

((هَذِهِ رَحْمَةً جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَاءِ))

[منفق عليه عن أبي عثمان]

ورد أن النبي عليه الصلاة و السلام يقول: "أول من يمسك بحلق الجنة أنا إذا امرأة تنازع عنى ترید أن تدخل الجنة قبلي قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها و ترك لها أولاداً صغاراً فأبت الزواج من أجلهم" إنها رحمت الصغار و آثرت تربية الصغار على حظها من الرجال، هذه المرأة تنازع رسول الله صلى الله عليه و سلم دخول الجنة.

رحمته بالخدم :

أيتها الأخوة الكرام: رحمته بالخدم قال:

((عن المَعْرُورَ بْنَ سُوِيدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرَ الْفَغَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ حُلَّةً وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةً فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْيَرْتَهُ بِأَمْهِ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَخْوَانَكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخْوَهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلَيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلَيُبَسِّهُ مِمَّا يَلْبِسُ، وَلَا تُكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعْيُنُوهُمْ))

[منقى عليه عن المَعْرُورَ بْنَ سُوِيدٍ]

أخوه، لا تحرقن أحداً، الله عز وجل قادر أن يجعلك في خدمة الناس، إذا سمح لإنسان أن يخدم إنساناً ينبغي أن يشعر المخدوم أن هذا الذي يخدمه أخوه في الإنسانية.
أي إنسان حولك في عملك، موظف عندك ينبغي أن ترحمه كما ترحم ابنك:

((عَنْ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَصْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا أَعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ لَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَّقَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَلَّتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرُّ لَوْجِهِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْلَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتَكَ النَّارُ أَوْ لَمَسْتَكَ النَّارُ))

[مسلم عن أبي مسعود الأنصاري]

و كان النبي عليه الصلاة والسلام بهذا ينهى عن ضربه يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلْ كَبِيرَنَا وَيَرْحِمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ))

[أحمد عن عبادة بن الصامت]

((إِنِّي لَأَقُولُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطْوِلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ))

[البخاري عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري]

رحمته بالجيران :

أما عن رحمته بالجيران: مشكلات لا تعد ولا تحصى في عالم المسلمين بين الجيران، كل جار يتلقن في إبداء جاره، يتلقن في إلقاء الأذى عليه، يتلقن في تجاهل راحته، يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ))

[البخاري عن ابن عمر]

و عند الفقهاء أربعون بيتاً شرقاً كلهم جيرانك، وأربعون بيتاً غرباً كلهم جيرانك، وأربعون بيتاً شمالاً كلهم جيرانك، وأربعون بيتاً جنوباً كلهم جيرانك، وأربعون بيتاً فوق كلهم جيرانك، وقد لا يعرف الجار أحياناً اسم جاره من القطعية:

((وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَوَائِقَهُ؟ قَالَ شَرَّهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

يخاف من جاره، يخاف من جاره أن يشتكى عليه، قد يشتكى الجار على جاره لا لضر أصابه أبداً و لكن ليغيط جاره، آلاف الشكاوى تأتي من الجيران من دون أن يتضرروا، لو تضرروا موضوع آخر، أتذرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات شيعته، ولا تستطع عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهدر لها منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيط ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك - أي برائحة طعامك - إلا أن تغرف له منها .

رحمته بالناس عامة :

هذا عن رحمة النبي بالجيران فماذا عن رحمة النبي بالناس عامة؟ أبو ذر الغفارى رضي الله عنه قال: سألت النبي عليه الصلاة والسلام يا رسول الله ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: إيمان بالله، قال: أمع الإيمان عمل؟ قال: أن تعطي مما رزقك الله، قال: يا نبى الله فإن كان فقيراً لا يجد ما يعطي؟ قال عليه الصلاة والسلام: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال: فإن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف و لا أن ينهى عن المنكر؟ قال فليعن الأخرق - أي ضعيف الرأي - قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: فليعن مظلوماً، قلت: فإن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مظلوماً، فتعجب النبي عليه الصلاة والسلام وقال: أما ترى أن تدع لصاحبك من خير ليمسك أذاه عن الناس، قال: قلت: يا رسول الله أو إن فعل هذا دخل الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " ما من عبد يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة ".

أن تأمر بالمعروف، و أن تنهى عن المنكر، و أن تعين الأخرق، و أن تعين مظلوماً، أو أن تمسك أذاك عن الناس هذه رحمته بالناس.

رحمته بالحيوان :

أيها الأخوة الكرام: في الحديث الصحيح الذي يبين رحمة النبي بالحيوان:
 ((عذبت امرأة في هرة حبسنها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار قال فقل والله أعلم نا أنت أطعمتها ولما سقيتها حين حبسنها ولما أنت أرسنلتها فأكلت من خشاش الأرض))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

أتصدقون أن يستحق إنسان دخول النار إذا عذب هرة؟ حبسها ما أطعمها و ما سقاها، دخل النبي بستاننا لأنصارى رأى فيه جملًا، فلما رأى الجمل النبي أن إليه، ذرفت عيناه فجاءه النبي و مسح ذفريه و قال:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْرَ إِلَيْهِ حَدِيثًا لَا أَحِدَّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَنَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَذِهِ أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِشاً لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمِلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَدَرَقَتْ عَيْنَاهُ فَتَاهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمِلِ؟ لَمَنْ هَذَا الْجَمِلُ؟ فَجَاءَ فَتِيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَا تَتَقَبَّلُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْبُهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَ اللَّهُ إِبَاهَا فَإِنَّهُ شَكَ إِلَيَّ أَنَّكُ تُجِيئُهُ وَتُنْدِبُهُ))

[مسلم عن عبد الله بن جعفر]

ينبغي أن ترحم الحيوان، أحياناً في سوق الدجاج تذبح الدجاجة وتوضع فوراً في ماء يغلي كي يتنفس ريشها بسهولة و لا تزال حية، هذا الذي يعبد الحيوان يعبد الله يوم القيمة.

رحمته بأمتة :

أيها الأخوة الكرام: رحم أمته فحينما سمع لغطاً في المدينة، مشادة بين الأوس و الخزرج قال: " يا عشر المسلمين الله الله! أبدعوا الجاهلية و أنا بين أظهركم؟ أبعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم وقطع به عنكم دعوى الجاهلية و استقذكم به من الكفر و ألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً".

أيها الأخوة الكرام: الفرقة عذاب، الفرقة ضعف، أي إنسان يسهم في الفرقة بين المسلمين، يشق وحدتهم، يجعلهم شيئاً و أحراضاً، يضعف قيمتهم، هذا ينطبق عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾

[سورة آل عمران: ١٠١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتَهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحِبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَلَفَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَاجًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْذِكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّبُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٠٣-١٠٢]

أيها الأخوة الكرام ، هذا الذي يشق صفوف المسلمين، يقيم شرحاً بينهم، يجعلهم شيئاً و أحراضاً، يغري بعضهم ببعض، هذا من أعداء المسلمين و إن بدا أنه منهم، لذلك نخشى على الإسلام لا من أعدائه بل من أدعيائه.

أيها الأخوة الكرام ، يقول عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: اسْتَنْصِتُ النَّاسَ فَقَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))

[منفق عليه عن جرير]

لأن الله عز وجل يقول:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة التوبة : ١٢٨-١٢٩]

من لا يرحم لا يرحم :

أيها الأخوة الكرام ، ملخص هذه الخطبة النبي عليه الصلاة و السلام نبي الرحمة و من لا يرحم لا يرحم، و إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، و الفرق الصارخ بين المؤمن و غير المؤمن رحمته بالخلق، و نحن نتكلم عن رحمة النبي، و نرى كل يوم و نسمع ما يجري في العالم من قهر، و من قتل، و من اغتيال، و من ظلم، و من إفقار، و من تجهيل، و من تجوييع، هذا هو الكفر :

﴿فَمَنْ يَكُفِرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

[سورة البقرة: ٢٥٦]

لقد أعنونا أن نكفر بهم، هؤلاء الذين يتبحرون بحقوق الإنسان و الحريات و الرفق بالحيوان هم أكثر الناس إجراماً لأنهم يقتلون شعوباً:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغفر
وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

حسابوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، و سيخطى غيرنا إلينا، فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين و على آله و صحبه أجمعين.

الاجتماع على الحق و الاعتصام به سبيل القوة :

أيها الأخوة: يقول الله عز وجل:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

ما مثلهم؟ أول استبطاط أيها الأخوة: متى كانوا أشداء؟ عندما كانوا مجتمعين.
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

فإذا اجتمعنا كنا أقوىاء، إن اجتمعنا على الحق كنا أقوىاء، لأن الله عز وجل يقول:
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَلْمِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾

[سورة آل عمران: ١٠٣]

لابد من شيء نعتض به، أما إذا اتحدنا لا على الحق بل على الباطل فحن ضعاف، لابد من أن نعتض بالحق، لابد من أن نجتمع على الحق.

نقل الخبرة إلى الآخرين :

أيها الأخوة الكرام:
﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأً فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

بعض النباتات يخرج في أصلها شطاً أي فسيلة، ما الذي يعين الفسيلة على النمو؟ الأم.
﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأً فَازَرَهُ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

هذه الفسيلة، هذا شيء واضح في الزيتون، الشطا يخرجه النبات الأم من أصله كفرع مشابه له تماماً، أي شيء يدعمه و يغذيه و يقويه؟ الشجرة الأم:
﴿أَخْرَجَ شَطَأً فَازَرَهُ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

من الذي آزره؟ الزرع، النبات الأصلي، الأم:
﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

بعد أن آزره اعتمد هذا الشطا على ذاته فنما نمواً ذاتياً أي أصبح غليظاً، قوياً، ثخيناً:
﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

هذا قانون أيها الأخوة، إذا كنت متفوقاً في شيء لابد من أن تعلم إنساناً و ليكن ابنك، و ليكن قريبك، و ليكن مؤمناً، ينبغي أن تدعمه إلى أن يستطيع أن ينمو وحده اعتماداً على طاقته:

﴿كَرْرِعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

النبات الأم آزر الشطا فلما بلغ مستوى يمكن أن ينمو وحده كان الذي كان:

﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

كأن الله سبحانه و تعالى يعلمنا أنه لابد من أن تنقل خبرتك إلى الآخرين، لابد من أن يكون خلفاء لك، لابد من أن تعلم هذه الحرفة لأناس آخرين، أما أن يكتفي الإنسان بالتفوق دون أن يضع علمه و خبرته في أناس آخرين فهذا بعد عن جوهر الدين، متى كان النبي و أصحابه أشداء على الكفار؟ حينما كانوا معه، حينما رباهم و قواهم ثم نموا هم بأنفسهم.

أيها الأخوة الكرام: هذه الآية من أمثل القرآن الكريم الرائعة.

قوانين الله في النبات قواعد ينبغي أن نستفيد منها :

أيها الأخوة: المقصود من عملية الاستغلال هو الزيادة في السمك، فالفرع يعتمد على نفسه في الزيادة بعد أن اعتمد على أمه، فالآم تخرج هذا الشطا ينبعي أن تؤازره إلى أن يعتمد على نفسه، عندئذ يعتمد هذا الشطا على نفسه فيكون غليظاً ثخيناً قوياً، وهذا من سنة الله في خلقه، قوانين الله في النبات قواعد ينبغي أن نستفيد منها:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْتِهِمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرِعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

أيها الأخوة الكرام ، تعاوننا و استمتعنا و تأزتنا أصبح فرضاً علينا لأن المسلمين جميعاً مستهدفون، و الطرف الآخر لا يفرق بين مسلم و مسلم، ينبغي أن نتعاون، و ينبغي أن تكون هذه الآية نبراساً لنا:

﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال: ٧٢]

قيمة المؤمن عمله، مادام لا يعمل، و لا يأخذ موقفاً، و لا يعطي الله، و لا يمنع الله، فهذا بعيد بعد الأرض عن السماء عن أن يكون مؤمناً.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافيت، و تولنا فيمن توليت، و بارك اللهم لنا فيما أعطيت، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، و إنه لا يذل

من واليتك، و لا يعز من عاديت، تبارك ربنا و تعالىت، و لك الحمد على ما قضيت، نستغرك
و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحربنا، أكرمنا و لا تهنا،
آثرنا و لا تؤثر علينا، أرضنا و ارضنا، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلح لنا
دنيانا التي فيها معاشرنا، و أصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زاداً لنا من كل خير،
و اجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، و
بطاعتك عن معصيتك، و بفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك، و لا تهلك عنا ستراك، و لا
تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك و رحمتك أعل كلمة الحق و الدين، و أذل الشرك و
المشركين، خذ بيده ولاتهم إلى ما تحب و ترضى، أهلك أعداءك أعداء الدين، اللهم اجعل تدميرهم
في تدبيرهم، و اجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، إنك على ما تشاء قادر و بالإجابة
جدير.

والحمد لله رب العالمين